بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٢٨)

إرشاد اليقضان إلى بعض الحكم من إنزال القرآن فى رمضان

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١]

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس: يقول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:١٨٥]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يمدح تعالى شهرَ الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من

بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، ثم ساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: "**أنزلت صُحُف إبراهيم في أول ليلة من رمضان. وأنزلت التوراة لسِتٍّ مَضَين من رمضان، والإنجيل لثلاث عَشْرَةَ خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**" .ا.هـ (١)(٢)

فهنيئا لنا معاشر الصائمين ما من الله تعالى علينا به في هذا الشهر المبارك من إنزال القرآن العظيم فيه على نبينا محمد الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ومن النعمة علينا بتلاوة كتابه والتلذذ بآياته.

وتأمل أيها العبد إلى عظيم نعمة الله تعالى عليك فيه، فإنه جل وعلا حينما حرَّم على العبد الغذاء البدني وهو الطعام والشراب وما يقوم مقامهما والتلذذ بمتع الدنيا وشهواتها، عوضه عنه بالغذاء الروحي ورغَّبه وحثه على الإقبال عليه ألا وهو القرآن الكريم فإنه روح القلوب وقوتها ولذة الأفئدة وبهجتها وهذا من حكم إنزاله في شهر رمضان.

قال الله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمى الله الوحي روحا لتوقف الحياة الحقيقية عليه كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢]

وقال: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر: ١٥]

---

(١) حسن. أحمد [١٦٩٨٤] السلسلة الصحيحة برقم [١٥٧٥].

(٢) عند تفسيره لسورة [البقرة: ١٨٥].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢]

فجعل وحيه روحا ونورا فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نورا منه فهو في الظلمات ماله من نور.ا.هـ [(١)]

فتأمل إلى هذه الحكمة العظيمة وكيف أن الله تعالى عوض عباده بما هو أعظم وأفضل، فهنيئا لمن استغنى به ، فإنه نعم الغنى والله.

ومن حِكم إنزاله في رمضان واختصاصه به أن هذا الكتاب كتاب مبارك كما قال الله تعالى : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام:٩٢]

وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام:١٥٥]

وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩]

وشهر رمضان شهر مبارك أيضاً لما ثبت عند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: **"قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ** " صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى [(٢)]

بل وأُنزل في ليلة مباركة فيه كما قال الله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان:٣]

فاجتمع بركة المُنزَل وهو القرآن، وبركة المُنزَل فيه من ربنا الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو شهر

---

(١) الأمثال في القرآن الكريم. محقق - (١ / ١٩).

(٢) صحيح. أحمد [٧١٤٨] «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٧٢).

رمضان. فيا لله كم للمؤمن من بركات في هذا الشهر المبارك.

ومن حِكم إنزاله في رمضان أن العبد حينما ترَّفع عن شهواته وملذاته ومحبوباته حال صيامه، عوضه الله تعالى بما به رفعته عند الله وعلو شأنه ألا وهو تلاوة كتابه والعمل به فإنه رفعة له في الدنيا والآخرة كما عند مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين**". (١)

وعن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**يقال لصاحب القرآن: اقرأ و ارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها** ".

أخرجه أحمد وصححه الألباني. (٢)

وتأمل كيف أن العبد لما ترك ملذاته ومحبوباته أبدله الله بما هو أعظم من تلك الملذات كلها ألا وهو الأنس بالله والتلذذ بكلامه وتلاوة آياته .

ولعمر الله أن هذا لما يدخل في هذا الحديث المبارك الذي ثبت عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وصححه الإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند عن أبي قتادة وأبي الدهماء قالا كانا يكثران السفر نحو هذا البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فجعل يعلمني مما علمه الله تبارك وتعالى وقال: "**إنك لن تدع شيئا اتقاء الله جل وعز إلا أعطاك الله خيرا منه** ". (٣)

وأي خير أعظم من هذا الكتاب المبارك، رزقنا الله وإياكم تلاوته آناء الليل وآناء النهار.

---

(١) " بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ وَيُعَلِّمُهُ..." برقم [٨١٧].

(٢) صحيح.أحمد [٦٧٩٩] السلسلة الصحيحة [٢٢٤٠] حسن .الصحيح المسند [٧٩٢].

(٣) صحيح .أحمد [٢٠٧٣٩] الصحيح المسند [١٤٨٩] وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة تحت حديث [٥].

ومن الحِكم أيضاً أن هذا القرآن شرف عظيم لأهله والعاملون به.

فبه يشرفوا وبه يكرموا وبه يَعظُموا كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص:١]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الضحاك: ذي الشرف أي من آمن به كان شرفا له في الدارين ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ﴾[الأنبياء:١٠]أَيْ شَرَفُكُمْ.

وَأَيضًا الْقُرْآنُ شَرِيفٌ فِي نَفْسِهِ لِإِعْجَازِهِ وَاشْتِمَالِهِ عَلَى مَا لَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.ا .هـ [(١)]

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء:١٠]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى منبهًا على شرف القرآن، ومحرضًا لهم على معرفة قدره: ...قال ابن عباس: شَرَفُكم .ا .هـ[(٢)]

وقال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزُّخرُف:٤٤]

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: للقرآن شرف لك ولقومك [(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝٧١﴾ [المؤمنون:٧١]

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف العلماء في الذكر في الآية فمنهم من قال: ذكرهم: فَخْرُهُم ، وشَرَفُهُمْ ، لأن نزول هذا الكتاب على رجل منهم فيه لهم أكبر الفخر والشرف .ا.هـ [(١)]

وفي هذا الشهر ليلة عظيمة شريفة عند الله تعالى والعامل فيها يشرف شرفا لا يبلغه في غيره من

---

(١) عند تفسيره [لسورة ص (٣٨): الآيات ١ الى ٣].

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة – (٥ / ٣٣٤).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢٨٣).

(١) عند تفسيره لسورة [المؤمنون:٧١].

الليالي طوال عامه ويعظم فيها عظمة لا ينالها في غير هذه الليلة ألا وهي ليلة القدر التي قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدْر:٥]وهي كائنة في شهر رمضان.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقيل: إنما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها، من قولهم: لفلان قدر ؛ أي شرف ومنزلة، وقيل: سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدرا عظيما، وثوابا جزيلا. وقال أبو بكر الوراق: سميت بذلك لأن من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها. وقيل: سميت بذلك لأنه أنزل فيها كتابا ذا قدر ، على رسول ذي قدر ، على أمة ذات قدر.ا.هـ[1]

فالقرآن ذو قدر وشرف، والليلة ليلة القدر والشرف وأُنزل فيها لشرف وعلو قدر المُنزَل والمنزل فيه ففي ذلك أعظم الحكم وأجلها.

ومن الحِكم أيضاً أن هذا الشهر أعظم الشهور عند الله سبحانه وأحبهم إليه جل وعلا فناسب أن يكون محلا ووقتا لنزول أعظم الكلام وأجله وأحبه إليه وهو كلامه عز وجل .

فالقرآن جعله الله مهيمنا على الكتب كلها قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها.ا.هـ[1]

ومن الحِكم أيضاً أن الصيام مما اختص الله به لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من بين سائر العبادات لما

(١) عند تفسيره [لسورة القدر (٩٧): آية ١].

(١) عند تفسيره لسورة [المائدة:٤٨].

ثبت من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: "

يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا "

أخرجه البخاري [(١)]

وأعظم الصوم الذي اختص الله تعالى به وهو أولى ما يدخل في هذا الحديث هو صوم الفريضة الذي يكون في رمضان كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: "**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، و ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، و ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**"[(٢)]

والقرآن كلامه الخاص به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي لا يشبه كلام المخلوقين، فناسب إنزاله في شهر رمضان لاختصاص الله تعالى بالأمرين بكلامه وبصوم عبده له .

ومن الحكم أيضا أن الصيام من أعظم مقاصد فرضيته تحقيق التقوى.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة:١٨٣]

والقرآن هدى للمتقين قال الله: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة:٢]

والقرآن شفاء للقلوب والأبدان قال الله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء:٨٢]والصيام كذلك .

ومن الحِكم أيضاً أن القرآن جمع الله فيه من الخيرات والبركات والأحكام مالم يجمعه في غيره من الكتب السماوية السابقة التي أُنزلت قبله كما قال عز وجل سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

(١) البخاري "باب فضل الصوم" برقم [١٧٩٥].

(٢) " باب: التواضع "برقم [٧١٣٧].

فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس:٥٨]

فهو موعظة وهو شفاء وهو هدى وهو رحمة وهو فضل وهو بيان وهو تبيان، وغير ذلك كثير مما جمع الله تعالى فيه من الخيرات والبركات، وهكذا هذا الشهر المبارك جمع الله فيه من الخيرات والبركات والهبات والطاعات العظيمة مالم تجتمع في غيره من الشهور والأيام .

فهو شهر الصوم وشهر العتق وهو شهر الكفارات وشهر المغفرة وهو شهر القرآن وشهر القيام وغير ذلك من المكرمات والخيرات والبركات مما لا تجتمع في غيره من الشهور.

وتأمل إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام و ألان الكلام و تابع الصيام و صلى بالليل و الناس نيام**" أخرجه الطبراني عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى .[١]

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: و هذه الخصال كلها تكون في رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام و القيام و الصدقة و طيب الكلام فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو و الرفث و الصيام و الصلاة و الصدقة توصل صاحبها إلى الله عز و جل قال بعض السلف : الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق و الصيام يوصله إلى باب الملك و الصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك.ا.ه[٢]

فتأمل كيف يجتمع في هذا الشهر للمؤمن من الخيرات والطاعات والقربات التي لا تجتمع في غيره من الشهور، وإن كان يجتمع شيء منها في العشر الأول من ذي الحجة إلا أن تلك نافلة وهذه فريضة والفريضة أحب إلى الله من النافلة كما سبق، فالصوم في شهر رمضان فريضة، والصدقة فريضة أعني زكاة الفطر، والقيام فيه من أوكد القيام وأفضله بل لا يخفى على المؤمن فضله، فتأمل كيف جمع الله تعالى فيه من الخيرات والقربات العظيمة زادنا الله وإياكم من فضله

(١) صحيح. الطبراني في الكبير [٣٤٦٧] صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ٢٣٠).

(٢) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف - (١ / ١٨٣).

وخيره وكرمه آمين فناسب أن يكون زمانا لنزول أعظم كلا م وأفضله وأبركه وهو كلام ربنا سبحانه.

أسأل الله أن يرزقنا تلاوة كتابه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا وان يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته وأن يرزقنا العمل بما فيه آمين .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

ومن الحكم أيضاً أن رمضان شهر الصبر كما سماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وصححه الألباني والوادعي رحمهم الله: " **صوم شهر الصبر و ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر** " (١)

فهو يجتمع فيه أنواع الصبر الثلاثة، صبر على امتثال أمر الله تعالى بالصيام، وصبر عن معاصي الله بترك المفطرات والآثام وصبر على أقدار الله المؤلمة من حرارة الحرمان من الشراب والطعام وسائر الشهوات والملذات، وهكذا القرآن يحتاج إلى صبر عظيم في تلاوته وقراءته كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " **مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُو حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ**

(١) صحيح.أحمد [٧٥٧٧] صحيح الجامع [٣٧١٨] الصحيح المسند [١٣٣٩].

الْكِرَامِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ، فَلَهُ أَجْرَانِ "متفق عليه [١]

ولا يصل إلى درجة الماهر إلا بعد التعتعة والمشقةوالصبر على تعلمه ، وأيضا يحتاج إلى صبر في حفظه ومراجعته فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: "**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها**" متفق عليه وهذا لفظ مسلم [٢]

وصبر في العمل به لأنه ثقيل كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزّمل:٥] ولذا أعقب الله تعالى بعد ذكره امتنانه على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بإنزال هذا الكتاب عليه أعقبه بذكر الصبر فقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان:٢٤]

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: فيه الوعد والوعيد وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر على ذلك، ولهذا قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾[الإنسان:٢٤]أي: اصبر لحكمه القدري، فلا تسخطه، ولحكمه الديني، فامض عليه، ولا يعوقك عنه عائق.ا.ه [١]

ومن الحِكم أيضا أن القرآن من أعظم ما يفرح به بل قد أمر الله تعالى بالفرح به فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين: فضل الله الإسلام

(١) البخاري برقم [٤٦٥٣] مسلم برقم [٧٩٨].

(٢) البخاري برقم[٤٧٤٦] مسلم برقم [٧٩١].

(١) تفسير السعدي - (١ / ٩٠١).

ورحمته القرآن فهذا فرح القلب وهو من الإيمان ويثاب عليه العبد .ا.هـ[١]

والصيام كذلك مما يُفرح به كما ثبت من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: " **للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه** " متفق عليه [٢]

فجمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعبده في هذا الشهر أنواعا من الفرح المحمود تكرما منه وفضلا، فلله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

وغير ذلك من الحِكم الجليلة في إنزال القرآن في هذا الشهر، ولفضل قراءة القرآن وتلاوته في رمضان كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يتدارسه مع جبريل في هذا الشهر الكريم ففي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة. [٣]

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك ، و عرض القرآن على من هو أحفظ له ... و فيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان ، وفي حديث فاطمة رضي الله عنها عن أبيها أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة و أنه عارضه في عام وفاته مرتين "البخاري و مسلم [٤]...و في حديث ابن عباس أن المدارسة بينه و بين جبريل كانت ليلا يدل على استحباب الإكثار

---

(١) الروح - (١ / ٢٤٨).

(٢) البخاري برقم [١٨٠٥] مسلم برقم [١١٥١].

(٣) البخاري برقم [٦] مسلم برقم [٢٣٠٨].

(٤) البخاري برقم [٣٠٤٨] مسلم برقم [٢٤٥٠].

من التلاوة في رمضان ليلا فإن الليل تنقطع فيه الشواغل و يجتمع فيه الهم ، و يتواطأ فيه القلب و اللسان على التدبر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ [المزّمل:٦]ا.هـ [١]

فهذا كان هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الشهر المبارك ألا وهو مدارسة القرآن مع جبرائيل وعرضه عليه لأنه شهر القرآن، وهكذا كان السلف رحمهم الله تعالى يولون كتاب الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مزيد عناية وإقبال في هذا الشهر أعظم من غيره فقد كانوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ يجتهدون في قراءة القرآن في هذا الشهر اجتهادا عظيمافكان الأسود يختم القران في شهر رمضان في كل ليلتين وينام فيما بين المغرب والعشاء وكان يختم فيما سوى ذلك في ستة. [٢]

وفي مصنف ابن أبي شيبة أن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وسعيد بن جبير وعلقمة ختموا القرآن في ليلة .ا.هـ [٣]

وكان الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة.ا.هـ [٤]

فحري بنا أيها الناس بالإقبال على كتاب الله تلاوة وتدبرا والمنافسة في ذلك أسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وعلى تلاوة كتابه آناء الليل وأطراف النهار وأن يرفعنا ويرفعنا بهذا الكتاب وأن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام والحمدلله رب العالمين.

---

(١) لطائف المعارف فيما المواسم العام من الوظائف - (١ / ١٨٣).

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢ / ٤٥٠).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة - (٢ / ٥٠٣).

(٤) فتح الباري - ابن حجر - (١ / ٤٨١).